

(قدم هذا البحث ضمن فعاليات ندوة "بناء المناهج: الأسس والمنطلقات" المنعقدة في رحاب جامعة الملك سعود وبتنظيم من كلية التربية في الفترة 20-19/1424/3هـ . النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود، 1425هـ، الجزء الثاني ص ص 1333-1364

تحليل محتوى كتاب "القدس؛ يهوذا والسامرة" لمؤلفته رنا هبرون

د. عبد العاطي منتصر

أستاذ مساعد اللغة العبرية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود

تقديم

المنهاج خطة مكتوبة معتمدة للتعليم والتعليم، أو وسيلة من الوسائل التي من خلالها تستطيع المؤسسات التربوية تنفيذ أهدافها المنشودة. وهو بذلك بناء نظامي يتشكل من عناصر المتعلمين الذين نعدهم بمستوى معين لخدمة الفرد والمجتمع، والتكيف مع واقع الحياة بمستجدياتها. وللمنهاج دور عظيم في تشكيل شخصيات الناشئة العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية مما يسهل عملية تكيفهم مع متطلبات حياتهم الحاضرة والمستقبلية بكل ما يعترضها من تغيرات [ماجد الخطايبية: بناء المنهج المدرسي. الأردن، عمان. دار الشروق. ٢٠٠١ ص ١١].

ويتكون المنهاج من عناصر معينة هي الأهداف التي ترد في صورة وصفية أو مصاغة صياغة إجرائية أو سلوكية؛ ومحتوى يتم تنظيمه بطريقة معينة تساعد على تحقيق الأهداف

الموضوعية؛ ويستلزم المحتوى على هذه الصورة توصيف أنماط مصاحبة من الخبرات التعليمية وطرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية، والعنصر الأخير من عناصر المنهاج هو برنامج تقييم المخرجات وذلك للتأكد من مدى تحقيق الأهداف الموضوعية ومعرفة مستوى التلاميذ [حلمي الوكيل، محمد أمين المفتي: أسس بناء المناهج وتنظيماتها. دار نشر بدون. ١٩٨٧ ص ١٢٧].

وعند تصميم المنهاج فإن من الأهمية بمكان أن يكون هناك علاقة ترابط بين عناصره وتفاعل متبادل بينها. فبالنظر إلى الأهداف، وهي العنصر الأول من عناصر المنهاج، نجد أنها تتكون من أهداف تدريس المادة وأهداف المدرسة أو المرحلة التعليمية التي تشتق من أهداف المجتمع باعتبار أن المدرسة هي إحدى المؤسسات التي أنشأها المجتمع لتكوين أهدافه. فيجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، عند تصميم المنهاج، العوامل الثقافية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع لكونها أحد مصادر اشتقاق الأهداف من جهة، ومن جهة أخرى لأن المنهاج يعتبر وسيلة لإعداد النشء للتفاعل والتكيف بنجاح مع المجتمع الذي يعيشون فيه. أما المحتوى، وهو العنصر الثاني للمنهاج، والذي يعتبر أحد الوسائل التي تساعد المعلمين على الوصول إلى الأهداف الموضوعية فيجب أن يتناسب تنظيمه وطرق تدريسه، وهو العنصر الثالث، وخصائص ومطالب مرحلة نمو المعلمين، وطبيعة المادة التي يشتق منها المنهاج محتواه [حلمي الوكيل، محمد أمين المفتي: أسس بناء المناهج وتنظيماتها. دار نشر بدون. ١٩٨٧ ص ١٢٨].

ومن هنا نستطيع أن ندرك أن محتوى المنهاج هو مجموعة الخبرات والحقائق والمعارف التي يجب وضعها لتحقيق أهداف المنهاج مع مراعاة خصائص ومطالب المتعلمين وطبيعة المادة التي يشتق منها هذا المحتوى. ومن ثم فإن أية دراسة لتحليل محتوى كتاب ما، إنما تهدف إلى وصف مضمون المادة الدراسية وصفا منظما وموضوعيا للوقوف على الأهداف التي من أجلها يتم تدريس المادة التعليمية من جهة، ومن جهة أخرى الوقوف على الأهداف التي تسعى إليها المؤسسات الرسمية من خلال تعليم هذا الكتاب للناشئة من أبنائها.

وسوف نقوم في مبحثنا هذا بتحليل محتوى كتاب من الكتب الدراسية التي أقرتها وزارة المعارف الإسرائيلية لتعليم تلاميذ المرحلة المتوسطة مقرر الجغرافيا. وهو كتاب "القدس؛ يهوذا والسامرة" الذي وضعته المؤلفة "رنا هبرون" بلغة عبرية سهلة تناسب خصائص ومطالب تلاميذ المرحلة المتوسطة. وقامت دار نشر "عام عوفيد" في تل أبيب بنشره عام ١٩٩٤ ميلادية. وسيقوم تحليلنا على محاور عدة هي: تنظيم محتوى الكتاب والقيم التي تضمنها والخلفية التي اعتمدت المؤلفة عليها في بناء منهاجها وأخيرا دور الكتاب في تشكيل شخصية دارسه.

أولا) تنظيم محتوى الكتاب

يدور الموضوع العام لكتاب "القدس؛ يهوذا والسامرة" حول جغرافية منطقة القدس وجبال يهوذا والسامرة التي تعرف عند العرب بمنطقة الضفة الغربية. ويقع الكتاب في جزء

واحد صغير الحجم، يبلغ عدد صفحاته مائة وتسعين صفحة مكتوبة بخط يشبه خط

جليوع" من الخطوط العبرية بينط كتابة أربعة عشر وهو بنط متوسط.

وقد استعانت المؤلف في بناء محتوى منهاجها بوسائل متعددة منها:

١ - التدرج في عرض المادة العلمية لمواضيع كتابها؛ فبدأته بفهرس لمواضيعه (ص ٥-٦)،

تلتها بقائمة لما ورد فيه من خرائط ورسوم (ص ٧-٨)، تبعثها بقائمة لصور الأماكن محل

الدراسة (ص ٩-١٠)، ثم تمهيد تبين فيه أهمية المنطقة التي تناولها بالعرض وتستحث

التلاميذ على مواصلة دراسة ما لم تتمكن من عرضه في الكتاب (ص ١١)؛ ثم مدخل توضح

فيه مواضيع الدراسة والمنطقة الجغرافية التي سوف تتعرض لدراستها (ص ١٣-١٤)؛ أعقبته

بالفصول الرئيسية لكتابتها التي تبلغ أربعة عشر فصلا (ص ١٥-١٦٨)؛ يليها درس عن

رحلة إلى بعض المناطق التي ورد ذكرها في الكتاب (ص ١٦٩-١٨٧). وتنتهي كتابها

بقائمة للمراجع (ص ١٨٩-١٩٠).

ويظهر التدرج في عرض مواضيع الكتاب من خلال عرضها لفصول الكتاب الرئيسية

الأربعة عشر. فهي تنقسم حسب مواضيعها قسمين رئيسيين متساويين في العدد. يتناول

الأول من كليهما موضوع القدس. وقد تناولت هذا الموضوع تناولا متدرجا، فبدأت

ببيان مكانة القدس في الأديان السماوية؛ ثم حال المدينة أيام الهيكل الأول؛ ثم حالها أيام

الهيكل الثاني؛ ثم مقارنة بين حالها في الماضي والحاضر؛ ثم كيفية توسيع المدينة في القرن

التاسع عشر؛ ثم وصف لحالها بعد توحيدها عام ١٩٦٧؛ ثم أسباب اختيارها عاصمة للكيان الصهيوني.

ويتناول القسم الثاني منطقتي يهوذا والسامرة؛ وقد بدأتها بعرض عام عن منطقة الجبل المركزي الذي يتكون من كليهما؛ تلتها بعرض لطبيعة الأرض فيه؛ ثم ما يخص كليهما من سمات؛ ثم صراع الإنسان الذي يعيش فيهما للتغلب على ظروف الحياة فيهما؛ ثم وصف لأنواع المناطق السكنية المقامة فيهما؛ ثم عرضت لبعض القلاع التاريخية اليهودية الموجودة في كليهما؛ وأخيرا عرض لأهم المدن الموجودة فيهما وعلاقة اليهود بها.

٢ - استخدام بعض الوسائل الإيضاحية التي تعين على فهم الدرس وتعميق فكرته مثل الصور والخرائط والرسوم. ويبلغ عدد خرائط الكتاب اثنتان وثلاثون خريطة ترد موزعة على النحو التالي:

- اثنتان وعشرون خارطة للفصول التي تتناول موضوع القدس.
- ثمان خرائط للفصول التي تتناول منطقة جبال يهوذا والسامرة.
- خريطتان لموضوع تاريخ المنطقة الذي تتناول فيه عرضا لأهم المدن والقلاع اليهودية فيها.

ويبلغ عدد الصور التي ترد في الكتاب تسع وستون صورة ترد موزعة على النحو التالي:

- ست وثلاثون صورة في الفصول التي تتناول موضوع القدس.

- ست وعشرون صورة في الفصول التي تتناول موضوع يهوذا والسامرة.

- سبع صور في الفصلين اللذين يتناولان موضوع المدن والقلاع التاريخية.

كما استخدمت المؤلفه عددا من الرسوم البيانية التي تبين فيها عدد السكان وحرفهم ومواقع تواجد المياه فيها ونسبة توافر الأمطار في الأماكن المختلفة.

ويقترَب عدد الصفحات التي تشغلها هذه الوسائل التوضيحية من المائة صفحة أي ما يزيد على ثلثي حجم صفحات الكتاب، الأمر الذي يعني أن المؤلفه قد اعتمدت اعتمادا أكبر على الوسائل الإيضاحية من خرائط وصور ورسوم في بناء محتوى منهاجها.

٣- مراعاة الفروق بين الطلاب أثناء عرض مواضيع دروسها؛ فمن المعروف من الناحية التربوية أن الطلاب لا يتشابهون في مستوى تحصيلهم ولا في مداركهم. فيفضل بعضهم أن يحصل على المعرفة بالطريقة النظرية ويفضل الآخرون الحصول عليها بالمشاهدة والتجربة العملية. وقد راعت مؤلفة الكتاب هذه الفروق بين دارسي كتابها، فنوعت عرض أفكار كتابها بين طريقتين لا اختلاف كبير بينهما، لكن لهما أثريهما في ترسيخ الفكرة المراد تعليمها. وتعتمد الطريقة الأولى على البدء بالفكرة النظرية يليها عدد من الأسئلة التي يتوجب على التلاميذ الإجابة عليها من خلال تعاملهم مع خارطة أو صورة، وتنتهي بعرض شامل للحقائق التي تضمنتها فكرتها، والتي توصل التلاميذ إليها بعد إجاباتهم على أسئلتها.

أما الطريقة الثانية فتبدأ بمجموعة من الأسئلة التي يتوجب على التلاميذ حلها من خلال التعامل مع خارطة أو صورة يليها عرض شامل لمجموعة الحقائق التي ترغب المؤلفة بياها والتي ترد من خلال إجابات تلاميذها.

٤ - اختيار المراجع التي يحمل لها التلاميذ قدرا من التقديس والتبجيل الأمر الذي يمكنها من غرس الأفكار التي تريد زرعها في عقول تلاميذها. فاستعانت بأسفار اليهود التي يقدسونها، من عهد قديم وتلمود، وكتب تاريخية يهودية كتبها مؤرخون يهود لهم في كتابة تاريخهم شأن وباع، بالإضافة إلى بعض الكتيبات التي تصدر عن وزارة الدفاع الإسرائيلية.

ثانياً القيم الصهيونية في الكتاب

حرص قادة الحركة الصهيونية منذ نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على تجميع يهود العالم في أرض فلسطين وسلبها من أصحابها الشرعيين. واعتمدوا في دعوتهم على أباطيل توراتهم التي تقول إن الرب قد اختارهم له شعبا واختار أرض فلسطين لهم وطناً. وساعدهم في تحقيق ذلك بعض الطوائف المسيحية الغربية التي تؤمن بما جاء في أسفار العهد القديم اليهودية.

وقد حرصت المؤسسة التربوية الصهيونية، ومازالت، على غرس هذه الأفكار في عقول الناشئة من أبنائهم. وكانت المناهج الدراسية خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف. وتأتي مناهج المقررات الاجتماعية في مقدمة المقررات التي استغلتها المؤسسة الصهيونية لترويج أفكارها.

فكتب الجغرافيا تقوم في الأساس على دراسة طبيعة الأرض وتضاريسها وعدد سكانها وحرفهم. لذا وجد الصهاينة في مواضيعها مجالا واسعا يبتون فيه ادعاءاتهم بملكية الأرض والتواجد فيها منذ القدم وإنكار أي حق لغيرهم فيها.

ويأتي كتاب "القدس؛ يهوذا والسامرة" حلقة في سلسلة هذه الكتب التي تبين مدى استغلال الصهاينة المناهج الدراسية في غرس قيمهم وأفكارهم في عقول أبنائهم. ومن المبادئ الصهيونية التي وردت فيه:

١- الزعم بحق اليهود في المنطقة منذ القدم

حاولت المؤلفة أن تغرس في عقول التلاميذ فكرة الحق اليهودي في فلسطين وذلك من خلال الإشارة إلى تواجدهم فيها منذ القدم والتأكيد على غربة كل من شاركهم الوجود فيها. بالإضافة إلى الاهتمام ببيان عنصر الأغلبية في عدد سكان القدس في العصر الحديث وهو الأمر الذي يؤكد حقهم فيها.

أ- تواجد اليهود في فلسطين منذ القدم

حرصت المؤلفة في كتابها أن تكرر فكرة تواجد اليهود منذ القدم وعدم انقطاع تواجدهم فيها رغم سيطرة غير اليهود عليها أحيانا. ففي القدس وجبال يهوذا والسامرة، حسب كلامها، استقر أجدادهم وحددوا فيها شخصيتهم كشعب مثل سائر شعوب المنطقة. فتقول المؤلفة في الصفحة الحادية عشرة من الكتاب عن القدس: "القدس وجبال يهوذا والسامرة أسماء تثير في النفس ذكريات تاريخية كثيرة، فهنا في منطقة الجبل خطا

شعبنا خطواته الأولى، وفيها استقر وحدد شخصيته". وتقول في موضع آخر من الصفحة نفسها: "القدس عاصمة إسرائيل وحيرون [الخليل] وامتسادا... ما أكثر الانطباعات التي تتركها هذه الأسماء". وفي موضع آخر من الكتاب تقول:

"تعود بداية تاريخ القدس إلى القرن العاشر قبل الميلاد. عندما توحدت أسباط إسرائيل وصارت شعبا واحدا أيام داود، يحكمه ملك واحد هو داود الرجل العسكري والسياسي ذو البصيرة الذي احتلها من اليوسيين وجعلها عاصمة للشعب كله" (ص ٢٥).

أما عن مدن يهوذا والسامرة وهي حيرون [الخليل] وبيت لحم وشمخيم [نابلس]؛ فتقول المؤلفة عنها: "عندما نتأمل خريطة الجبل المركزي نرى فيها أسماء معروفة هي حيرون وبيت لحم وشمخيم. وإذا كنا لم نقم بزيارة هذه المدن فقد التقينا بها ونحن نتصفح أسفار العهد القديم. وقرأنا حولها في الكتب التي تعرض لتاريخ شعبنا وفي بقية كتب المطالعة" (ص ١٥٨).

وتورد في الصفحة التاسعة والخمسين بعد المائة فقرات من العهد القديم الغرض منها بيان ما لليهود في المدينة: "وأوصاهم [أي يعقوب] قائلا: سوف أموت فادفوني مع آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي، في المغارة التي في حقل المكفيلة [الحرم الإبراهيمي] الواقعة أمام ممرا في أرض كنعان؛ تلك التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي كي تكون ملكا له ليقم بها قبرا. فهناك دفنوا إبراهيم وسارة، وهناك دفنوا إسحق وامراته رفقة، وهناك دفنت ليئة" (سفر التكوين ٤٩/٢٩-٣١).

وتقول عن بيت لحم: " في المنافذ الشمالية من بيت لحم يقع قبر راحيل. ولم يقيم من اليهود في بيت لحم إقامة دائمة سوى عدد قليل. لكن بعضهم اعتاد الحج إلى قبر راحيل على مر الأجيال... " (ص ١٦٢).

وتبين ما يمثله قبر راحيل من قيمة في حياة اليهود فتقول: " يوجد قبر راحيل على قارعة طريق الآباء وهو يمثل حلقة اتصال بماضي بيت لحم المكان الذي ولد فيه بنيامين ودفنت فيه راحيل وولد فيه الملك داود " (ص ١٦٢).

أما عن مدينة شيخيم [نابلس] فتقول: " الاسم العربي لمدينة شيخيم هو نابلس، وهو تحريف للاسم الروماني نابوليس الذي يعني المدينة الجديدة " (ص ١٦٤). ورغم اعترافها بحداثة المدينة نجدها تصر على إثبات التواجد اليهودي فيها؛ فتقول: " ترد في بعض الكتب شواهد على تواجد يهودي صغير في شيخيم [نابلس] في القرنين الثالث عشر والتاسع عشر. ففي القرن التاسع عشر تواجدت في المدينة طائفة صغيرة لم تبتسم الأقدار لمصيرها " (ص ١٦٤).

ب- التأكيد على أغلبية اليهود في القدس.

لم تكتف المؤلفة بالإشارة إلى تواجد اليهود في القدس منذ القدم بل زعمت أن اليهود كانت لهم الأغلبية على غيرهم خلال القرن الماضي. فأوردت في الصفحة التاسعة والستين جدولاً تبين فيه عدد السكان في القدس في الفترة من عام ١٨٤٤م حتى عام ١٩٨٣م وهو

على النحو التالي:

السنة	اليهود	غير اليهود	الإجمالي
١٨٤٤	٧١٢٠	٨٣٩٠	١٥٥١٠
١٩١٣	٤٨٤٠٠	٢٦٨٠٠	٧٥٢٠٠
١٩٤٨	١٠٠٠٠٠	٦٥٠٠٠	١٦٥٠٠٠
بعد توحيد المدينة (عام ١٩٦٧)	١٩٥٧٠٠	٦٧٦٠٩	٢٦٣٣٠٩
١٩٧٠	٢١٥٧٠٠	٧٦٢٠٠	٢٩١٧٠٠
١٩٧٣	٢٤١٢٠٠	٨٥٢٠٠	٣٢٦٤٠٠
١٩٧٤	٢١٥٠٠٠	٩٣٢٠٠	٣٤٤٢٠٠
١٩٧٧	٢٦٦٠٠٠	١٠٠٣٠٠	٣٦٦٣٠٠
١٩٨٣	٣٠٦٣٠٠	١٢٢٣٥٠	٤٢٨٦٥٠

ج) تجاهل التاريخ العربي للقدس

إن المتتبع لتاريخ القدس والتواجد اليهودي فيها يعرف تمام المعرفة أن اليهود لم تكن لهم السيطرة على هذه المدينة سوى فترات قليلة ومتقطعة. فقد مر تاريخها بكثير من التقلبات والتغيرات. وسيطر عليها كثير من الشعوب الأخرى كالبابليين والفرس والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين. وقد بدأ حكم الشعوب الأخرى لهذه المنطقة عام ٥٦٨ قبل الميلاد عندما غزا الملك البابلي "نبوخذنصر" مملكة يهوذا ودمر القدس وأجلى أهلها إلى

بابل. ثم جاء الفرس و استولوا عليها وسمحوا لليهود بالعودة إليها عام ٥٣٨ قبل الميلاد. وقد استمر الحكم الفارسي لمنطقة يهوذا حوالي أربعمئة وثمان وستون سنة. جاء بعدهم الرومان واستولوا عليها ودمروا القدس وأبادوا من فيها من اليهود، بل وحولوا اسمها إلى "إيليا كابيتوليا" وأنشأوا فيها معبدا للإله "جوبيتر" على أنقاض الهيكل اليهودي الثاني. وقد استمرت فترة الحكم الروماني لهذه المنطقة حوالي مائتين وستون عاما تلتها فترة الحكم البيزنطي التي استمرت ما يقارب القرون الثلاثة. ثم جاء الفتح العربي الإسلامي ليستقر فيها منذ منتصف القرن السادس الميلادي وحتى القرن العشرين.

ومن الغريب أن مؤلفة الكتاب قد قسمت فترة الحكم الإسلامي لفلسطين على نحو يوحى بأنها فترة عابرة غير مؤثرة. فهي تقسمها على النحو التالي:

- الفترة العربية القديمة، ونلاحظ هنا عدم تسميتها بالفترة الإسلامية، من ٦٣٨ حتى ١٠٩٩ ميلادية.

- الفترة الصليبية من ١٠٩٩ حتى ١١٨٧ ميلادية أي ثمان وثمانون سنة.

- الفترة الأيوبية ١١٨٧ حتى ١٥١٧ أي ثلاثمئة وثلاثون عاما.

- الفترة العثمانية من ١٥١٧ حتى ١٩١٧ أي أربعمئة سنة. (من ص ٤٦ حتى ٥٩)

ولنا على هذا التقسيم عدد من الملاحظات:

١ - أنها قد قسمت فترة الوجود الإسلامي في المنطقة إلى فترات متمايزة عمدا

وقصدا حتى لا يلحظ الدارسين طول فترة التواجد الإسلامي في المنطقة التي

تمتد حوالي عشرة قرون من الزمان. وهي فترة زمنية لو قارناها بفترة التواجد اليهودي فيها لوجدنا أنها تساويها بل تزيد عليها.

٢- أنها قد أنهت فترة الوجود العربي الإسلامي بعام ١٩١٧ ميلادية، وكأنها تريد أن تقول إن الحكم الإسلامي قد انتهى بهذا العام. وهذا تزيف للواقع.

٣- أنها قد حرصت على بيان الأصل اليهودي للمكان وإنكار أي حق للآخرين فيه لاسيما العرب منهم، وذلك على النحو التالي:

أ- أنها قد بينت أن ما قام به البابليون ضد المملكة اليهودية القديمة كان من قبيل الغزو والاحتلال.

ب- أنها تشير إلى عودة اليهود في فترة الحكم الفارسي وإعادة بناء الهيكل وبناء ما دمره الجيش البابلي (ص ٣٣-٣٩).

ت- حرصها على الإشارة إلى إن اليهود لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هدم الرومان الهيكل الثاني وإقامة هيكل آخر لإلههم جوبيتير على أنقاضه. فتقول: "في ساحة جبل الهيكل [الحرم الشريف] وعلى أنقاض الهيكل تم بناء معبد لجوبيتير وثار اليهود وترأس بركوخبا الثورة ضد الرومان" (ص ٤٨).

ث- حرصها على بيان أن المسجد الأقصى قد تم بناؤه على أنقاض الهيكل الثاني، فتقول: "ضع خريطة للقدس القديمة مرسومة على ورق شفاف فوق خريطة القدس في العصر البيزنطي وانظر هل كبرت مساحة المدينة، ما الاتجاهات التي

توسعت فيها؟ ما هي المناطق التي ضمت إليها؟ صف التغيرات التي طرأت على
مرسم الأسوار؟ ماذا أقيم في جبل الهيكل وبالقرب منه في الفترة العريية
القديمة؟" (ص ٤٩).

ج- وأخيرا حاولت المؤلفة أن توهم التلاميذ بأن كل من تواجد في فلسطين من
غير اليهود كانوا غزاة أجنب لا علاقة لهم بما فتقول: "إن ماضي القدس هو
ماضي ملتهب، اندلعت فيها حروب كثيرة، وسيطر الأجنب عليها، وتركت
كل فترة منها بصمتها عليها" (ص ٥٩).

٢- بث مشاعر الكراهية للعرب والتحذير منهم

من يقرأ الأدب العبري عامة وأدب الأطفال خاصة يدرك أن الأدباء الصهاينة يتعمدون
تشويه صورة العربي في قصصهم ويصورونه في صور وحشية متخلفة. وقد تعرض النتاج
الأدبي العبري عامة وما كتب منه للأطفال خاصة لعديد من الدراسات قام بها باحثون
عرب وأثبتوا فيها تلك الأفكار العنصرية التي حاول أدباء صهيون بثها في نفوس الناشئة
منهم.

ورغم أن الكتاب الذي نقوم بتحليل محتواه كتاب يبدو علميا إلا أن مؤلفته حرصت على
تورد به قصة تدعي وقوع أحداثها، ومن يقرأ هذه القصة تملكه على الفور مشاعر
الغضب والكراهية من العرب. تقول القصة: "في ليلة يوم السبت، في الثاني من شهر نيسان
من عام، ١٨٨١ وبعد تلاوة القدا، ظهر فجأة في بيت ربي "جدليا ها أوفيه" عربي

أسود ملفوف بعباءة وسأل عن حارس الحي. فزع ربي جدليا وأهله من ذلك الضيف
الغريب الذي تدل ملامحه على السرقة والقتل؛ وخارت قلوبهم. وبعد أن سمع الجيران نداء
امرأة ربي جدليا أسرعوا لاستدعاء الحارس العربي الذي صرخ فيهم: "أسرعوا واختبئوا
هناك قتلة يكمنون لنا وراء الحي من الناحية الغربية؛ لقد قضي علينا، فهم كثيرون ولا
سبيل إلى الحصول على نجدة. ولو أفلح من نرسلهم في الوصول إلى أبواب المدينة القديمة
فلن يجدي ذلك شيئا لأنها مغلقة في الليل." انقض العربي الغريب على الحارس وقتله.
وكال الضرب للمتجمعين يمينا ويسارا فأصاب منهم الكثيرين. عمّت الفوضى الحي،
وصرخت النسوة والأطفال، وارتفعت أصوات العويل حتى كادت أن تصل السماء،
فتجمع الرجال للدفاع عن حياتهم... وهرب العرب لسماعهم أصوات الصراخ ورؤيتهم
الرجال يتجمعون بأعداد غفيرة؛ أما العربي القاتل فوقع في أيدي اليهود" (ص ٧٣).

ونحن لا نستطيع أن نتقبل هذه القصة على أنها حدث حقيقي. لأنها تشتمل على عناصر
القصة الأدبية من زمان ومكان وشخصية ومغذى يرمي إليه كاتب القصة. فزمن القصة
هو ليلة يوم السبت، اليوم المقدس عند اليهود، فيها يتفرغ اليهودي للعبادة وتلاوة التوراة.
ومكان أحداثها هو حي جديد يحاول اليهود بناءه خارج أسوار القدس القديمة بغية التوسع
والعمران. أما الشخصيات الرئيسة فهي رجل دين يهودي وآخر عربي. صورهما الكاتب
في نظام تقابلي يبرز ما بينهما من فوارق يرغب الكاتب في بيانها. فصور اليهودي في
صورة رجل دين يتعبد بتلاوة أسفار التوراة ليختتم بها صلوات يوم السبت، وصور العربي

في صورة رجل متوحش ولص قاتل أسود اللون. أما الحدث فهو اقتحام عربي أسود حي يهودي ، يقطنه بعض اليهود، أثناء الليل وهم يتعبدون. فيثير الرعب في قلوب أصحاب المكان، وتنطلق أصوات الصراخ، ليتجمع الجيران من أجل الدفاع عن حياتهم من هذا العربي القاتل ومن معه.

وترمي القصة إلى بث مشاعر الكراهية للعرب فتصورهم على أنهم قتلة ولصوص وضرورة الأخذ بأسباب الحذر منهم والاتحاد فيما بينهم لمواجهةهم.

٣ - حث التلاميذ على مواصلة ما قام به أجدادهم

سعت المؤسسة التربوية الصهيونية منذ إنشائها، ومازالت ، إلى أن تغرس في عقول اليهود من المهاجرين إلى فلسطين المحتلة والمقيمين فيها قيمة الارتباط بالمكان كحق لهم. وجاءت مناهجهم مشتملة على الجهود التي بذلها السلف منهم للعودة إلى أرض الآباء وعمارتها. وتطلب من الخلف مواصلة ما بدأه السلف.

ولا يخلو منهاج من مواد الاجتماعية من هذه الأفكار. فقد احتوى الكتاب الذي بين أيدينا على مثل هذه الأهداف. فتقول المؤلفة تعقيباً على القصة التي أوردناها في النقطة السابقة:

" لكن سكان القدس لم يرتاعوا وواصلوا خروجهم إلى منطقة العمل وبنى المؤسساتون- الناهيون للأخطار التي تحدق- بهم أحياءهم كالقلاع، منازل مبنية بأحجار مقدسية صلدة تترايط بعضها ببعض وتحيط بداخلها فناء" (ص ٧٥).

فهي هنا تحاول أن تلفت نظر تلاميذها، بصورة غير مباشرة، إلى ما يجب عليهم فعله. من مواصلة العمل دون خوف مع أخذ أسباب الحيلة والحذر. وتقول في موضع آخر: "إن الخرائط التاريخية قد تتغير، وربما تشاركون أنتم أنفسكم في تصويرها من جديد عندما يحين الوقت وتلعبون دورا في الحفريات واكتشاف الآثار" (ص ٣٩). وفي موضع آخر تقول: "علينا أن نتذكر أن ما يحدث في الحاضر سوف يحدد وجه المستقبل" (ص ١١).

ثالثا) الخلفية الثقافية لمؤلفة الكتاب

إذا تأملنا القيم التي أوردناها سابقا أدركنا أن المؤلفة قد بنت محتوى منهاجها على خلفية صهيونية ودينية. ولا تختلف القيم الصهيونية عن القيم الدينية. فقد اتخذت الحركة الصهيونية من الدين ستارا لها. وادعى قادتها أن دعوتهم العودة إلى فلسطين إنما هو تحقيق لوعده إلهي ورثوه عن أجدادهم.

وتبرز الخلفية الثقافية الصهيونية لدى مؤلفة الكتاب من خلال عدد من العناصر:

- إبدالها أسماء المدن العربية بأخرى عبرية، فجعلت من مدينة الخليل حبرون؛ وجعلت من مدينة نابلس شيخيم؛ ومن مناطق الضفة الغربية يهوذا والسامرة.

- استخدامها بعض المصطلحات الصهيونية مثل: حرب التحرير لوصف الحرب التي دارت بينهم وبين العرب عام ١٩٤٨ (ص ٤٨).

- استخدامها مصطلح مدينة داود للدلالة على مدينة القدس ووصفها مدينة حبرون بمدينة الآباء (ص ١١).

أما الخلفية الدينية فتبرز من خلال اعتمادها على كثير من فقرات أسفار العهد القديم والتلمود لتوثيق مجموعة الخبرات التي أوردتها في كتابها هادفة من وراء ذلك إلى أن تؤكد على أن ما جاءت به هو من قبيل الحقائق المسلم بها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ربط ما يدرسه التلميذ خلفيته الدينية.

ومن الفقرات التي اقتبسها من أسفار العهد القديم لتوثيق ما أوردته من معلومات:

الفقرة الرابعة والفقرة الثلاثون من الإصحاح الثاني والثلاثون من سفر أخبار الأيام الثاني اللتان تشتملان على خبر ما قام به الملك "حزقياهو" بنائه نفقا أرضيا لينقل به مياه نهر "الجيحون" إلى مدينة القدس ثم قيام سكان القدس بإغلاق ينابيع المياه وسد مجرى النهر حتى لا ينتفع بها الآشوريون الذين جاءوا لاحتلال المدينة. فتقول الفقرة الرابعة من الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني: " وتجمعت جموع كثيرة من أفراد الشعب وأغلقت الينابيع كلها والنهر الجاري في منتصف البلاد قائلين لماذا يأتي ملوك آشور ويجدون مياهها غزيرة؟" وتقول الفقرة الثلاثون من الإصحاح نفسه من السفر نفسه: " وسد

حزقيا هو مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى الجهة الغربية من مدينة داود" (ص ٢٧، ٢٩).

ومن أمثلة ما ورد من اقتباسات من التلمود عن مكانة القدس في الفكر اليهودي: "تقع أرض إسرائيل في منتصف العالم... وتقع القدس في منتصف أرض إسرائيل" نقلا عن فصل تنحوما قدوشيم الفقرة العاشرة (ص ١٥). وتورد في موضع آخر اقتباسا من فصل "سوكا" أحد فصول "المشنا" يقول فيه صاحبه: "من لم ير القدس في بمائها فهو لم ير قط مدينة رائعة، ومن لم ير الهيكل عند بنائه فهو لم ير قط بنيانا فاحرا" (ص ٣٣).

ومن الفقرات التي أوردتها المؤلفة لتربط بها بين معلومات مواضيع دروسها وبين ما جاء في أسفارهم الدينية والتي تهدف إلى ربط ما يدرسه التلميذ من خبرات وخلفيته الدينية، ما جاء في الصفحة الثانية والثلاثين ضمن قولها: "وردت جملة (من الشمال يبدأ الشر) في سفر إرميا عدة مرات مع بعض التغيرات الطفيفة. هل هذه الجملة اتصال بالواقع علل إجابتك؟".

وترتبط هذه الفقرة بموضوع الوضع الجغرافي لمدينة القدس أيام داود، الذي ورد في الفصل الثاني من الكتاب. وفيه تذكر المؤلفة أن القدس أيام داود كانت تقع على سلسلة متفرعة من جبل ضيق يقع في الجنوب من الحرم الشريف، الذي تسميه بجبل الهيكل بين وادي قدرون المعروف الآن بوادي الجوز، شرقا وبين الوادي غربا. وكانت مساحتها تتراوح بين خمسين وستين دونما. وقد صعب الجدولان، اللذان كانا يتدفقان من ناحيتي الشرق

والغرب ويتوحدان في الناحية الجنوبية، من الوصول إليها من تلك الاتجاهات الثلاثة. أما في الشمال فكانت سلسلة جبلية، تم بناء المدينة عليها، ترتفع تدريجياً ناحية جبل الموريه.

ولم يكن للمدينة أية حماية طبيعية من ذلك الاتجاه" (٢٧).

ومن هنا نلاحظ أن المؤلفه تحاول ربط الواقع الجغرافي في المدينة أيام الهيكل الأول بما تنبأ به النبي ارميا في سفره.

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في الصفحة الثامنة والخمسين بعد المائة من أسئلة تقول المؤلفه فيها:

" راجع ما ورد في العهد القديم وأنعش معلوماتك:

- هل مدينة حبرون مدينة قديمة حسب مفاهيم بني إسرائيل؟ متى تم بناؤها؟ (انظر سفر العدد ٣٢/٢٣).

- ماذا كان اسم مدينة حبرون في السابق؟ من كان سكانها؟ (انظر سفر القضاة ١ / ١٠).

- أين بنى إبراهيم مذبح الرب؟ (انظر سفر التكوين ١٣/١٨).

- من الملك المشهور الذي ولد في بيت لحم؟ ماذا عمل في صباه؟ (انظر سفر صموئيل الأول ١٦/١٨-١٩).

- بأي قصة من قصص البطولة ترتبط بيت لحم؟ من سيطر عليها خلال تلك الفترة؟ (انظر سفر صموئيل الثاني ٢٣ / ١٤-١٧).

- ما المحاصيل التي كانت تزرع في بيت لحم ؟ وماذا اعتاد الفلاحون على أكله؟ (راجع سفر روث ١/٢-١٥).

- ما الذي أقامه يعقوب في قطعة الأرض التي اشتراها في شيوخيم؟ وكيف أسماها؟ (راجع سفر التكوين ٣٣/١٩-٢٠).

رابعاً) أثر الكتاب في تكوين شخصية الدارسين

لاشك في أن هناك علاقة متبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية، وهذه العلاقة وثيقة تتم من خلال تفاعل الأفراد بعضهم ببعض من جهة وبين الأفراد والبيئة المحيطة من جهة أخرى. ومن المعلوم أن لكل مجتمع أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها من خلال مؤسساته المختلفة. وتعتبر المدرسة إحدى هذه المؤسسات التي أنشأها المجتمع لتحقيق أهدافه عن طريق تربية النشء بأسلوب ونظام دراسي معين يسعى في النهاية إلى تحقيق أهداف المجتمع. وللمدرسة وسيلتها في تحقيق هذه الأهداف وهي المنهج. بمفهومه الشامل.

ولقد استهدف الخطاب الموجه للتلاميذ في مدارس الكيان الصهيوني تحريف دلالات الأحداث واستخدامها كما يشاء الداعية الصهيوني في التأثير على التلاميذ وتحريكهم عن طريق الدعاية السياسية والاجتماعية إضافة إلى الدعاية التحريضية. فقامت الحكومات الصهيونية بوضع الأسس للمناهج المدرسية لتروج ما ترغب فيه من دعاوى وأباطيل.

ولكي ندرك مدى دور محتوى هذا الكتاب في تكوين شخصية من يقوم بدراسته علينا أن نشير في البداية إلى المرحلة الدراسية التي يدرس فيها، والموضوع العام لمحتواه والطريقة التي

نظم بها لتتعرف في النهاية على أهم الأهداف التي سعت المؤلفة ومن خلفها المؤسسة التربوية الصهيونية إلى الوصول إليها والتي تظهر أعراضها في تشكيل شخصية التلميذ بما يخدم مصالحهم في النهاية.

أولاً- إن المرحلة التي يتم تدريس الكتاب فيها هي المرحلة المتوسطة، حيث يتراوح عمر التلميذ فيها بين الثانية عشرة والخامسة عشرة. وهي سن يكون التلميذ فيها قادراً على الإدراك والفهم مستعداً لتلقي كل ما يزرع فيه من فكر.

ثانياً- يدور موضوع الكتاب حول جغرافيا منطقة الضفة الغربية التي أسماها المؤلفة بالقدس ويهوذا والسامرة وهي منطقة محل نزاع بين العرب والصهاينة. فهم يزعمون بملكيتهم هذه الأرض وينكرون حق العرب فيها. ومن هنا تأتي أهمية هذا المقرر الذي يمثل مجالاً رحباً لتنمية الحس اليهودي لدى التلميذ وزيادة التركيز على صلة التلميذ اليهودي بتراثه القديم وإنكار أي حق للآخرين فيها.

ثالثاً- تأتي طريقة تنظيم المحتوى لتلعب دوراً مهماً في ترسيخ المعلومات في عقل التلميذ. وقد برعت مؤلفة الكتاب في بناء محتوى كتابها. فاستخدمت التدرج وسيلة من وسائل عرض المعلومات وتكرار ما ترغب في إبرازه والتأكيد عليه. ولم تنس أن تدعم آراءها بمصادر يقدسها التلميذ، فاستعانت بأسفار العهد القديم و فقرات من التلمود لتربط بين ما هو موجود وبين ما يؤمن به ويعتقد فيه. ولاشك في أن لهذه الطريقة أثرها في غرس القيم التي أوردتها في كتابها في عقل تلميذها لتصبح مع الوقت جزءاً منه وعنصراً أساسياً من

مكونات شخصيته، فيزداد ارتباطه بالمكان، غير قابل على التخلي عنه والتضحية في سبيله
بكل غال ونفيس. وهذا ما ترمي إليه الدولة الصهيونية.